مكملة سجلا تاريخياً موتفا لطبيعة الحركة ، وطرحا لمنهج رعمائها فى سبل البحث عن أفضل سبل العيش من منظورهم الخاص، وإن انتفت لديهم فكرة الزعامة والفردية المطلقة فى إطار الفلسفة الوحدة ، فكانوا أقرب إلى فرسان المائدة المستديرة على نحو ما صورهم صاحب الدرس نفسه فى ظل هذاالتصور (٨) .

صحيح أننا قد نتلمس جوانب من عناصر القص تبرزها لنا مغامرات شعراء العصر الجاهلى من غير الصعاليك ، كما كان عند امرئ القيس فى رحام عاله الغزلى الماجن ، ولكن الموقف يختلف على مستوى المعالجة وصيغ الأداء بين قصصية الصعلوك ، وقصصيه الشاعر القبلى سواء أوظف فى خدمة القبيلة، أم فى خدمة ذاته من خلال القبيلة أيضا . (٩)

إنه الاختلاف بين منهج حياة أى من الفريقين وبين عالم الصعلكة ، وهو التباين الذى تحكيه انعكاساتها على نفسية كل منهم ، بما يكفى لتسجيل جوانب الظاهرة بدقة وواقعية ملموسة .

ومع القصصية والواقعية نراهم وقد مالوا إلى التجديد ، وإن شئنا فهو التحول والبحث عن التميُّز فى كل شئ ، حتى فى موقفهم من المرأة ، تلك التى تحولت - بدورها - من عالم المحبوبة موضوع الغزل والبكاء الطللى ورحلة الظعينة والاستعانة بالرفاق لتصيح الزوجة التى تمثل صوتا خاصا يحاول أن يكبح جماح الصعلوك خوفا عليه من الموت المرتقب كلما آن له أن يخرج غازيا (٩).

وهو يناجى من خلال هذا الصوت نفسه كشفا عن مبررات تمرده وحتمية خروجه ، فلا زالت الزوجة قلقة عليه تخشى مغبة خروجه ، وتسأله البقاء لئلا يفقد من أول رمية له فى صراعه من أجل البقاء والعيش الكريم ، وعند ئذ يعلن الصعلوك إصراره على التمرد والرفض أيضا ، امتدادا لمنهجه فى مسار الرفض القبلى ، فهو يأخذ موقفا خاصا من عالم المرأة يتبلور منه جانب فى